

ظاهرة الإلحاد في المجتمعات الإسلامية

تشخيص العوامل واقتراح العلاج



الدكتور خالد التوزاني

رئيس المركز المغربي للاستثمار الثقافي- مساق، المغرب

touzani79@hotmail.com

OPEN ACCESS

تاريخ الاستلام: 5 يناير 2024

تاريخ التعديل: 25 فبراير 2024

تاريخ القبول: 7 أبريل 2024

المعرف الرقمي: DOI: 10.5281/zenodo.12547457

الملخص:

تروم هذه الدراسة فهم ظاهرة الإلحاد في المجتمعات الإسلامية، من خلال التركيز على تشخيص أهم العوامل التي أدت إلى انتشارها، ثم اقتراح بعض الحلول الممكنة من أجل الحد من خطورتها على تماسك المجتمع الإسلامي وحماية هويته العقدية والدينية، وذلك وفق مقاربة شمولية تأخذ بعين الاعتبار تعقّد هذه الظاهرة وتحولاتها من الإنكار الصريح للخالق ورفض الدين، إلى الإنكار الضمني الذي يأتي بمبررات علمية ومنطلقات معرفية ونظريات في الحقوق والحريات الفردية، مما يجعل الإلحاد أكثر التباساً مع ظواهر أخرى ترتبط بالسلوك الإنساني بشكل عام، لكن الدراسة تؤكد على الصلة الوثيقة بين الإنسان وخالقه باعتبارها تمثل الفطرة السليمة، وعلى كون ظاهرة الإلحاد مجرد أمر طارئ، وهذا ما يفسح المجال لدعوة الملحدون لتصحيح رؤيتهم للدين والتدين.

الكلمات المفتاحية:

الإلحاد؛ الإسلام؛ المجتمع؛ الدين؛ الإيمان.

The Phenomenon of Atheism in Islamic Societies

Factors and Solutions

Dr. Khalid ETTOUZANY 

Moroccan Center for Cultural Investment

touzani79@hotmail.com



OPEN ACCESS

Date received: Jan 5, 2024

Date revised: Feb 25, 2024

Date accepted: Apr 7, 2024

DOI: [10.5281/zenodo.12547457](https://doi.org/10.5281/zenodo.12547457)

ABSTRACT

This study aims to understand the phenomenon of atheism in Islamic societies by identifying the key factors contributing to its spread, and proposing solutions to mitigate its impact on the cohesion of Islamic society and the preservation of its doctrinal and religious identity. The article adopts a comprehensive approach that takes into account the complexity of this phenomenon which ranges from explicit denial of the Creator and outright rejection of religion, to more subtle forms accompanied by scientific justifications, cognitive starting points, and arguments concerning individual rights and freedoms. This subtlety can blur atheism with other human behavioral phenomena, complicating the issue even further. However, this study emphasizes the inherent connection between man and his Creator, characterizing atheism as a temporary deviation, rather than a permanent condition, and advocates for engaging atheists to help realign their understanding of religion and religiosity.

KEYWORDS:

Atheism; Islam; Society; Religion; Faith.

مقدمة¹

لا يجادل أحد اليوم في أن الإلحاد بات يشكل خطراً حقيقياً على الفرد والمجتمع وتهديداً لتماسك الأمة الإسلامية كلها، فهو يعمل على تفكيك النسيج الاجتماعي والفكري من جهة، كما أنه يهدد استقرار المجتمع من جهة أخرى، لأن انتصار الإلحاد هو انتصار للقيم المادية وهدم للقيم الروحية والأخلاقية التي تمثل عماد كل حضارة إنسانية.

يُعرف الإلحاد المعاصر بأنه "عبارة عن مجموعة من المفاهيم الخاطئة تعتمد على فكرة أن الكون نشأ تلقائياً نتيجة لأحداث عشوائية، وأن الحياة ظهرت ذاتياً من المادة، وأن الإنسان ليس إلا جسداً مادياً يفنى ذاتياً بالموت، ولا يعترف هذا النوع من الإلحاد بوجود الله مطلقاً²".

لم يعد الإلحاد في عصرنا مرتبطاً بالكفر البواح أو الشرك الصريح، وإنما يأتي في صورة فلسفة في الحياة، ونمط في التفكير، حيث يرتدي لباس العلم، ويزعم الدفاع عن الحريات، وهذا ما جعله خطاباً مغرباً للشباب، فتغلغل في أوساطهم وامتد تأثيره إلى شرائح اجتماعية واسعة، وخاصة مع تطور وسائل الإعلام الجديد؛ حيث تدفق المعلومات المستمر والتواصل الاجتماعي العابر للثقافات جعل الكثير من المفاهيم التي لها صلة بقاموس الإلحاد، تنتشر بين الشباب على وجه الخصوص؛ مثل تمجيد العلم على حساب الإيمان، وتبخيس أثر العبادات في سلوك المتدينين، بل وحصر الدين في مظاهر شكلية تعزله عن سياق التأثير في الواقع وفي بؤرة الحياة.

وهكذا، وقع الفصل بين الديني والدنيوي في السلوك الإنساني، وأدى هذا إلى انتشار الكثير من الانحرافات الفكرية والأخلاقية، مثل إقصاء الضمير ومراقبة الخالق والتلاعب بالقانون في سبيل تحقيق الطموحات المادية؛ من نجاح في امتحان، أو بلوغ منصب، أو أداء مهمة معينة بأيسر الطرق ولو كانت غير مشروعة، إذ لا صوت يعلو على صوت المصلحة وإشباع حاجات الذات والنفس، ويصبح الأمر خطيراً، عندما تنتقل هذه الانحرافات من السلوك الفردي المعزول إلى سلوك جماعي يُمارس في العلانية

¹ To cite this article:

ETTOUZANY, Khalid, The Phenomenon of Atheism in Islamic Societies: Factors and Solutions, Ijtihad Center for Studies and Training, Belgium, Vol. 1, Issue 1, June 2024, 255-276.

خالد التوزاني، ظاهرة الإلحاد في المجتمعات الإسلامية: تشخيص العوامل واقتراح العلاج، مركز اجتهاد للدراسات والتكوين، بلجيكا، مج. 1، ع. 1، يونيو 2024، 255-276.

² عمرو شريف، وهم الإلحاد، تقديم: محمد عمارة، منشورات مجلة الأزهر، مصر، ط: 1، 1435هـ، ص: 26.

أو يأخذ طابعاً دولياً¹، بعدما كانت تلك الانحرافات تُمارس في السّر والخفاء وداخل نطاق محدود، وكأن أصحابها كانوا على قدر من الحياء، والشعور بأن ما يقومون به مُنكر وعيب لا ينبغي أن يجهروا به، أو يعلنوه أمام الملأ؛ أصبح التباهي بارتكاب أبشع الجرائم، واعتبار الاحتيال والغش ذكاءً وتفناً في جلب المنافع والإفلات من العقاب، وهذا يعني أننا أمام تحولات جذرية يشهدها العالم اليوم، وخاصة في أوساط الشباب، بفعل تأثير مفاهيم الإلحاد في وجدانهم، وزحف تيار التحرر من كل القيود والعودة بالإنسان إلى أحضان الطبيعة حيث التماهي بالحيوان، والانفلات من كل انضباط أو التزام، وغير ذلك مما يغري الشباب ويعددهم بملذات الجنة في الأرض، وهذا شكلاً من أشكال التطرف الفكري، إذ التطرف لا يعني فقط الغلو والتنطع في قضايا الشرع أو الانحراف المتشدد في فهم قضايا الواقع والحياة، ولكن يعني أيضاً التقصير والتهاون والتحلل من كل التزام².

إنّ إشاعة أفكار التحرر بين الشباب، ينذر بكارثة أخلاقية قد تأتي على الأخضر واليابس، ولا تترك طيباً إلا أهلكته، ولا خيراً إلا أحرقتة، وهنا نستحضر الحديث الشريف: "عن زينب بنت جحش رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم، دخل عليها فزعاً يقول: لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، قالت زينب بنت جحش فقلت يا رسول الله: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثرت الخبث"³.

إن خطر الإلحاد، يتجاوز الإضرار بصاحبه، إلى تهديد مجتمع برمته، بل وتشويه صورة أمة ضربت أمثلة رائدة في العلم والإيمان وفي مكارم الأخلاق، بقيت آثارها حية في ذاكرة الإنسانية جمعاء، ولأننا في عصر لم يعد فيه مكان مغلق، حيث الانفتاح على الثقافات واللغات صار ضرورة في الحياة، وتداخل لا مفر منه، فإن الشباب المسلم ينبغي أن يكون في مستوى هذه المرحلة التاريخية ما دام يحمل رسالة إنسانية للعالم، وأن يمثل الأمة التي ينتمي إليها خير تمثيل؛ في فكره وسلوكه، وأن يدرك المخاطر التي تحوم حوله، فالأفكار عابرة للعقول، لا يقف أمامها حاجز، وهنا لا بد للباحثين والعلماء ألا يقفوا مكتوفي الأيدي أمام أي ظاهرة تؤثر في مسار هذا الشباب، وعلى رأسها ظاهرة الإلحاد، بتقوية المناعة

¹ معن خليل عمر، علم اجتماع الانحراف، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، ط:1، 2008، ص:103.

² جميل أبو العباس زكير، المتطرفون: التطرف الفكري؛ نشأته وأسبابه وطرق علاجه، منشورات المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية، برلين، ألمانيا، ط:1، 2020، ص:34.

³ ورد الحديث في صحيح البخاري ومسلم، يُنظر: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الموسوعة الكبرى لأطراف الحديث النبوي الشريف، دار الكتب العلمية بيروت، 2021، الجزء:49، ص:183. ويُنظر أيضاً: منصة محمد السادس للحديث النبوي الشريف:

<https://hadithm6.com/hadith/165890.html>

الفكرية عند هؤلاء الشباب وتوضيح الجوانب الخفية في كثير من الأفكار التي لا تنسجم مع فطرة الإنسان وعقيدة الإسلام.

إنّ ظاهرة الإلحاد ليست جديدة في العصر الحديث، بل لها جذور قديمة في تاريخ البشرية، وإلا ما كان الله ليرسل الرسل ويُجدّد الدين ويُنزل الكتب السماوية، وهذا يعني صعوبة تتبع هذه الظاهرة، لأنها توجد في كل زمان، تبرز حيناً وتخفت أحياناً أخرى، إذا تضافرت عوامل انتشارها، إذ "لكل ظاهرة من الظواهر عوامل داخلية أوجدت مُسوّغات وجودها، وقامت بحفظ ذلك الوجود، وحدّدت اتجاهه، ورسمت أطر تفاعلاته"¹. ولهذا؛ فإنّ معرفة عوامل نشأة الإلحاد والبيئة التي في ظلّها يُتخذ قرار الإلحاد، يعتبر في غاية الأهمية، وعلى رأس تلك العوامل الموضوعية يأتي فتور الإيمان وطغيان الشر، وتغوّل الباطل، واستضعاف أهل الحق، فيصبح المؤمن في حالٍ من الضعف، لا يُغري أحداً بتقليده في إيمانه، ولذلك لا يليق بالمؤمن إلا العزّة، وينبغي أن يبحث عنها بطلب العلم وبالهجرة وبالجهاد، حتى يتحقّق له التمكين في الأرض.

وهكذا، سوف نخصّص هذه الدراسة لتناول ظاهرة الإلحاد في المجتمعات الإسلامية، وتتبع العوامل المؤدية إلى انتشارها، وخاصة بين صفوف الشباب، وكيف يمكن مواجهتها والتقليل من خطرها، وذلك برؤية علمية متوازنة تأخذ بعين الاعتبار تعقّد هذه الظاهرة، بغية تقديم تصوّر شمولي عنها، يساعد على فهم تحولاتها وتغلغلها داخل مجتمعات إسلامية معاصرة. ولذلك سوف تتضمن هذه الدراسة فصلين؛ تم تخصيص الفصل الأول لرصد العوامل المؤدية إلى ظاهرة الإلحاد؛ ويضم العوامل الخارجية، ثم العوامل الداخلية. أما الفصل الثاني فيتناول السُّبل الكفيلة بعلاج هذه الظاهرة، ويتضمن تنمية الإنسان بالعلم والإيمان، ودعوة الملحدّين باللين والإحسان. ثم أخيراً نختم الدراسة بخاتمة تتضمن أهم النتائج والخلاصات المتوصل إليها.

الفصل الأول: العوامل المؤدية إلى ظاهرة الإلحاد

يقتضي فهم الإلحاد استحضار جملة من العوامل التي أسهمت في انتشاره بين الشباب، في العالم العربي والإسلامي، والتي نجمها في عوامل خارجية وأخرى داخلية.

¹ عبد الكريم بكار، فصول في التفكير الموضوعي، دار القلم، دمشق، ط: 1، 2008، ص: 7.

المبحث الأول: عوامل ذات بعد خارجي

لم تكن الأمة العربية والإسلامية، تعيش بمعزل عن محيطها الإقليمي والدولي، وخاصة شبه الجزيرة العربية، التي تعدّ مهبط الوحي وأرض الرسالات، ولذلك كانت هذه البلاد أرض الإسلام، وحرز الإيمان، مصداقاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تآرز الحية إلى جحرها"¹.

ولقد شنّ أتباع الديانات الأخرى، حروباً طاحنة على دين الإسلام، تشتد حيناً، وتخفت أحياناً أخرى، لكنها لم تتوقف، وقد أخبر القرآن الكريم بهذه الحقيقة، في قوله تعالى: {وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}².

ولما فشلت الحرب المادية بالأسلحة العسكرية في صد انتشار الإسلام، كانت الحرب بشكل آخر، إعلامية واقتصادية وثقافية ودبلوماسية، تعمل في الليل والنهار، وعبر مداخل متعددة، من أجل هدم بنيان الدين الإسلامي، وردّ المسلمين عن دينهم، ليكونوا مثلهم كفاراً، فتحبط أعمالهم، ويكونوا سواء، قال تعالى: {وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتِطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِّنْكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}³.

إن الذين يحملون الناس على الباطل، من خلال التضليل وتزييف الحقائق، فإن طاعتهم، كأنها عبادة للأصنام، وهذا وجه شائع من الإلحاد الخفي، قال تعالى: {تَاللَّهِ إِن كُنتَ لفي ضلالٍ مبينٍ إِذْ نَسَوَيْكُم بَرِبَ الْعَالَمِينَ}⁴.

وعلى الرغم من دلائل وجود الله، في الكون وفي الأنفس والمخلوقات، فالذين كفروا، جعلوا معه شريكا وعدلا، قال تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ}⁵. وبهم تأثر الشباب المسلم الذي اختلطت عليه الحقائق، مع توالي الهزائم الحضارية التي شهدتها البلاد العربية خاصة؛ من نكسات ونكبات ومثبطات للنهضة، زاد من حدتها الهجمة الأوروبية

¹ محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، صحيح البخاري، خرّج أحاديثه وعلّق عليه: محمود محمد حسن نصار، دار الكتب العلمية، بيروت، 2019، أبواب فضائل المدينة، باب الإيمان يأرز إلى المدينة، ج: 2، رقم الحديث: 1777، ص: 663. ومسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان أن الإسلام بدأ غربياً وسيعود غربياً وأنه يأرز بين المسجدين، رقم الحديث: 147، ج: 1، ص: 78. يُنظر أيضاً: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، 2017، كتاب فضائل المدينة، الجزء: 5، رقم الحديث: 1876، ص: 82.

² سورة البقرة: 109.

³ سورة البقرة: 217.

⁴ سورة الشعراء: 98.

⁵ سورة الأنعام: 1.

على المنطقة العربية من خلال الحملات الاستعمارية المسعورة، ثم الهجمة الشرسة على المسلمين في ديار المهجر من خلال التضييق عليهم وسن قوانين تلزمهم بتبني أساليب في الحياة تخالف تعاليم دينهم وتتعلق باللباس أو الأعياد والعلاقات وتربية الأبناء، ونعت الإسلام بالرجعية والتخلف والتطرف والإرهاب، وعدم القدرة على مواكبة الواقع المعاصر¹.

لقد مهدّ الغرب لحملاته الاستعمارية، ببعثات دراسية اتجهت نحو العالم الإسلامي، حيث قام المستشرقون بدراسة الحياة العربية بحثاً عن نقاط الضعف ومداخل الخلل، التي يمكن أن يلجوا منها إلى هذه الدول. وفي البداية كانت ظاهرة الاستشراق نابعة من أوامر الكنيسة التي لها أغراض أخرى تبشيرية وتنصيرية، ترى في الإسلام عدواً لها، ثم كان الاحتلال العسكري، الذي استغل ضعف العرب وقرهم وتخلفهم، فكان للهزيمة العسكرية التي مني بها المسلمون أمام الغزو الأوروبي أثر واضح في وضع العقيدة الإسلامية أمام تحديات جديدة²، منها؛ ظهور المد الإلحادي الذي حملته المستعمرون الأوروبيون، حيث طفقت الشعوب الإسلامية تقلد المستعمر الغربي وتتشبه بأخلاقه وعاداته ونمط حياته، حتى وقعت في المحذور، وهو التشكيك في عقائدها الإيمانية الكبرى، عندما وجدت نفسها في تناقض بين الواقع والشريعة، وبدأت النخب العلمية تطرح التساؤلات من جديد، حول الدين والدولة، والحدثة والحريّة، وغيرها من القضايا التي لم تمثل إلا مظهراً من مظاهر التضييق على الدين وحصره في المسجد وفي العبادات الشكلية، دون اهتمام بروحه وجوهره، لتشكل هذه الظروف بيئة مناسبة ينمو فيها الإلحاد، ثم يزدهر بظهور مواقع التواصل الاجتماعي وما تسمح به من إمكانات الاختباء وراء أسماء مستعارة، تتيح لأصحابها التعبير بأمان ودون خوف من الملامة أو العتاب أو المساءلة³، وغيرها من طرق تزييف الوعي.

وكما اتجهت البعثات الدراسية من الغرب إلى البلاد العربية، في سياق ظاهرة الاستشراق، عرفت أيضاً بعثات في الاتجاه المعاكس، أي من العالم العربي والإسلامي إلى البلاد الغربية في سياق آخر، يتمثل في متابعة الدراسة والحصول على الدرجات العلمية والاستفادة من المنح الدراسية، وأيضاً اكتساب الخبرات البحثية والتقنية، من أجل العودة إلى الوطن ونقل المعرفة وتنزيلها في مجال التنمية والتحديث الذي تطلّعت إليه الدول العربية بعد النهضة الأوروبية، وقد رافق هذا التواصل المزدوج بين الشرق

¹ بهاء الدين عربي محمد عمار، المضامين التربوية المستنبطة من تعامل الإسلام مع حديث العهد بالإسلام، المجلة العلمية، كلية التربية، جامعة أسيوط، مصر، المجلد: 39، ع: 4، ج: 2، أبريل 2023، ص: 6.

² محمد عبد الله عيسى، التحديات العقدية المعاصرة، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، المجلد: 43، ع: 2، يناير 2021، ص: 1022.

³ أفنان عبد الله قطب، دوافع استخدام الأسماء المستعارة لدى مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي: دراسة مسحية على عينة من الشباب السعودي، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، ع: 71، 2020، ص: 228. DOI: 10.21608/ejsc.2020.126743

والغرب، ظهور حركات الإلحاد المنظمة في العالم¹، وهي الحركات التي بدأت تنشط بشكل علني في الدول الإسلامية، وخاصة بعد منتصف القرن التاسع عشر، حينما بدأ العالم الإسلامي والعربي، يتصل بالعالم الغربي، عن طريق إرساليات الدراسة، أو التدريب والتأهيل المهني والتبادل الثقافي، وتسبب ذلك في رجوع مجموعة من الطلاب متأثرين بالفكر الأوروبي المادي، والذي كان يقوم على أساس تعظيم علوم الطبيعة، وتمجيد العقل، مقابل التقليل من شأن الدين والشرع، ظناً منها أن الأوروبيين لم يصلوا إلى القوة إلا برفضهم للدين²، ووصل الأمر إلى إبعاد الشريعة الإسلامية عن تديير حياة الناس وإدارة شؤونهم ومعاملاتهم، وبذلك ظهرت الفجوة بين العلم والدين، وانتشرت فكرة أن الدين يعارض العلم والواقع، ويقف دون الانطلاق إلى آفاق جديدة، ويُحرّم الإبداع، ويدعو إلى الكهنوتية والتقوقع³.

وينبغي الإقرار بأنه في بداية الأمر لم يكن ثمة دعوة صريحة إلى الإلحاد أو الردة أو مسخ الهوية الإسلامية، وإنما كانت هناك دعوات للتحزّر، وخاصة تحرير المرأة، وإخراجها لميادين العمل والإنتاج، وفتح المجال أمام العقل ليحاكم النصوص الشرعية فيقبل ما يطابق الواقع والمنطق والحس والمصلحة، ويرفض ويشكك في ما كان غيبياً لا يمكن دراسته بالتجريب والحسّ، في محاولة لزرع بذور الصراع بين العقل والشريعة، ومع زيادة الاتصال بالغرب وأفكاره ومناهجه، بدأت الغربية تدب في حياة المسلمين، لتعلن بعض الدعوات الصريحة للإلحاد وفتح باب الردة عن نفسها باسم التنوير تارة، وباسم النهضة تارة أخرى، ومرة باسم الحريات الفكرية والفردية والعقل والحدّثة، والليبرالية الدينية⁴.

لا يخفى أن طبيعة الإلحاد في المجتمعات العربية والإسلامية، تتسم ببعض الاختلاف عما هو موجود في المجتمعات الغربية، فقد ينكر البعض بعض أركان الإيمان، وإن آمنوا بالله، وقد لا يجد البعض حرجاً في الاستهزاء بآيات الله وبعض أحكامه وشريعته، وفي ذلك استدراج للدخول في الإلحاد الجديد⁵، ولذلك حذّر الله من هذا السبيل تحذيراً قوياً، ومن ذلك قوله تعالى: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَسْفَلِ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ

¹سوزان بنت رفيق بن إبراهيم، الإلحاد المعاصر؛ سماته وأثاره وأسباب علاجه، رسالة دكتوراه، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، السعودية، 1440هـ، ص: 988.

²علي بن نايف، موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، قسم العقيدة، الموسوعة الشاملة، ج: 45، ص: 150.

³أحمد هاشم عبد، الإلحاد المعاصر وانتشاره في المجتمع الإسلامي، مجلة التطوير العلمي للدراسات والبحوث، المجلد: 3، ع: 10، 2022، ص: 227.

⁴أزهار بنت أنس سلامة، التفسير النفسي للإلحاد المعاصر: دراسة موضوعية عقيدية، مركز الأدب العربي للنشر والتوزيع، السعودية، ط: 1، 2022، ص: 83.

⁵مجدولين نصر الله، ظاهرة الإلحاد الجديد، ص: 1081.

بِعَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ¹، وقوله عز من قائل: {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ}².

المبحث الثاني: عوامل ذات طابع داخلي

إن الضربات الخارجية لن تكون موجعة ومؤثرة، إذا وجدت جسداً قوياً يرد الهجوم، وصيحات الإلحاد لن تكون إلا صيحة في واد، أو هشيماً تذروه الرياح، وإن بقيت رديحاً من الزمن، فمصيرها الزوال، لأن في عقيدة المسلمين، بقاء الإسلام، ودفاع الله عن المؤمنين. قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ}³.

ولأن موضوع الإلحاد له صلة مباشرة بالعقيدة، وهي الإيمان بالله خالق السماوات والأرض، له الملك وله الحمد وله الكبرياء وله المجد، ينبغي أن تتمثل العقيدة في دراسة هذا الخطاب، عبر الإيمان بأن إلحاد المسلمين لم يقع خارج نطاق إرادة الله، في تمحيص عبادته وابتلائهم، قال تعالى: {وَنَبَلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً، وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}⁴.

لقد أراد الله ذلك ليجعل الباطل جندياً من جنود الحق، ولو لم يتعب الباطل الناس أكانوا يتجهون صوب الحق؟ كلا؛ ولذلك كان لا بد أن يأتي الباطل للناس ويتعمهم بحثاً عن الحق الذي يعلو ولا يُعلى عليه. قال تعالى: {فَأَمَّا الرِّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكُّهُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ}⁵، واختار الله لفظ الضرب؛ لأنه يوحى باحتدام الصراع وهيجان التفاعل ليقرع به أذن السامع قرعاً ينفذ إلى قلبه، وينتهي به إلى أعماق نفسه، ومن خلال هذا الصراع تُبنى الحياة⁶.

وهكذا، قد يتلي الله أهل الحق بأهل الباطل ليدمغ الباطل بالحق، وتهوي سافلة كلمة الباطل أمام كلمة الله العالية كما قال تعالى: {وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا}⁷، ولذلك ينبغي أن نستشعر هذه المعاني ونحن ندرس الإلحاد، وكيف نبت هذا الوباء في بيئة إسلامية، كل شيء فيها، يُذكَر

¹ سورة البقرة: 85.

² سورة البقرة: 98.

³ سورة الحج: 38.

⁴ سورة الأنبياء: 35.

⁵ سورة الرعد: 17.

⁶ خليل رجب حمدان الكبيسي، السلام الدولي في الإسلام: دراسة تأصيلية مقارنة، دار أمجد للنشر والتوزيع، الأردن، ط: 1، 2018، ص: 34.

⁷ سورة التوبة، الآية: 40.

بالله، حتى لغة التواصل اليومي تحفل بتمجيد الله وحمده وشكره، ثم يخرج من يُنكر كل ذلك، وهو بين الناس ومعهم، حقاً، إنها ظاهرة غريبة، ولكن لم تأت من فراغ، فوراء الأكمة ما وراءها، من دعوات لتجريد الدين عن القداسة، والتفريق بين الإسلام التاريخي والإسلام المثالي، أو الدين المعيش والدين غير المعيش¹.

ولعل أحد أكبر الأسباب التي تقف وراء تفشي الإلحاد بين صفوف الشباب، هو الجهل الذي يمثل مصدر كل الشرور، حتى قيل: عدو عاقل خير من صديق جاهل، وقال تعالى: {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ، قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ}². أي "إنكم أيها القوم قوم تجهلون عظمة الله وواجب حقه عليكم، ولا تعلمون أنه لا تجوز العبادة لشيء سوى الله الذي له ملك السماوات والأرض"³، فالذي حملهم على الإلحاد هو جهلهم بالله تعالى.

ولأن الجهل أصل الداء، فهو سبب أمراض القلوب، لأن القلوب تُضاء ظلماً بنور العلم، ومن تلك الأمراض العلو والتكبر والجحود والإنكار والريبة، ويترتب عن ذلك انتشار الظلم وهضم الحقوق، فيكون ذلك داعياً للتمرد والعقوق، والانقلاب على الدين والأخلاق والقيود.

على الرغم من ارتفاع معدلات الإقبال على متابعة الدراسة في الجامعات، إلا أن الأمية الدينية تستفحل وتزايد، لتشكل خطراً على الصحة الإيمانية، وخاصة في ظل الانفتاح الثقافي ووسائل العولمة وثورة التقنيات الحديثة والاتصالات السريعة، التي أدت إلى سرعة انتشار المعلومات والأخبار بغثها وسمينها، كما أن الإلحاد قد يصادف قلباً خاوياً فيتمكن منه، فقد يصادف أيضاً عقلاً خاوياً فيفتك به، وقد يقع الشباب بسبب ضعف المناعة العلمية ضحية لأفكار تمهد للإلحاد أو تقود إليه أو توقع فيه، وهو ما جعل بعض الدراسات الغربية تربط الإلحاد بعوامل ثقافية ونفسية⁴.

ويُضاف إلى الأمية الدينية والخواء الروحي، غياب القدوات الصالحة والنماذج الرائدة، سواء في الأسرة أو المدرسة والجامعة أو وسائل الإعلام أو مجال السياسة والقيادة، فينشأ الشاب أو الفتاة وهو لا يعرف دينه حق المعرفة ولا يحبه كما يجب، فتنطلي عليه الشهوات ويسهل عليه ترك دينه لأي سبب

¹ محمد أركون، الفكر الإسلامي: قراءة علمية، ترجمة: هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط:1، 1996، ص: 116.

² سورة الأعراف: 138.

³ الطبري، جامع البيان، دار الرسالة، لبنان، 1994، ج:13، ص: 80.

⁴ The Reasons of Atheists and Agnostics for Nonbelief in God's Existence Scale. Psychology of Religion and Spirituality.

مهما كان، خاصة إذا رأى ما يصدر عن بعض المسلمين من ممارسات سيئة لا تمت إلى الإسلام بصلة، فالعبرة بحقيقة الإسلام لا بواقع المسلمين¹.

ويمكن أن نضيف إلى هذه الأسباب، الغلو الديني أو التشدد في مجتمع لا يسمح بطرح الأسئلة²، ويحظر الحديث عن بعض الظواهر والقضايا، ولذلك أرجع الدكتور عبد الله الغدامي نمو ظاهرة الإلحاد إلى التشدد، حيث اعتبر التزمّت أشدّ خطراً على الدّين من الإلحاد، وألّف في ذلك كتاباً بعنوان: "العقل المؤمن والعقل الملحد" بعد مخاض طويل من التأمل والنقاشات³، وقد أثبتت بعض الدراسات أن الفراغ الفكري والإحباط والتشدد والغلو في الدين، من أبرز أسباب التطرف⁴، ولم يكن الإلحاد إلا مظهراً من مظاهر هذا التطرف والتمرد.

وبالإضافة إلى التزمّت الديني، هناك الحرية التي تتاح لأول مرة في مجتمع عرف انغلاقاً طويلاً، حيث إن مساحة الحرية، تجعل المجتمع يجرب كل جديد، وكل مخالف للمألوف، وهذا أمر طبيعي، لكنه محفوف بالمخاطر عندما يتحول ذلك الجديد والمخالف من التبني الفردي والاختيار الشخصي إلى دعوة جماعية، وإلى محاولة للتأثير في مجموع المجتمع، ويبدو أن الإلحاد قد أخذ هذا المسار، عندما صارت العديد من مواقع التواصل الاجتماعي والمواقع تزين للناس هذا النمط في التفكير، وخاصة الشباب والمراهقين⁵.

ويرى البعض أن الثورات العربية من الأسباب البارزة للإلحاد، معللين ذلك بأن المزاج الثوري يدعو للثورة على كل الثوابت ومن أهم هذه الثوابت الدين والأخلاق⁶.

ولا يتعلق الأمر بالإلحاد الشباب من الرجال فقط، بل نجد نساء أعلنن إلهادهن جهاراً، بأسماء حقيقية أو وهمية، ولعل الاضطهاد الذي تعاني منه المرأة في كثير من المجتمعات العربية والإسلامية، كان وراء الوقوع في فخ الإلحاد، بزعم التحرر من سلطة الآباء وقهر الذكور وغيرها من الشعارات، فإذا

¹ فهد بن سالم باهمام، دليل المسلم الجديد، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، السعودية، ط:1، 2017، ص:27.

² أحمد الجبيني، محمد مصطفى، الإسلام والآخر، مكتبة الأسرة، مصر، ط:1، 2007، ص:224.

³ عبد الله الغدامي: التزمّت أشدّ خطراً على الدّين من الإلحاد، بتاريخ الجمعة 04 ديسمبر 2020، عبر الرابط:

<https://www.okaz.com.sa/culture/culture/2050427>

⁴ فاطمة السالم، مواقع التواصل الاجتماعي والتطرف الفكري: دراسة على عينة من طلبة جامعة الكويت، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، ع:79، أبريل 2022، ص:638. DOI: 10.21608/ejsc.2022.253939

⁵ قحاييرة شوكال، عبد الكريم محمد، سوء استغلال مواقع التواصل الاجتماعي وانحراف المراهقين، رسالة لنيل شهادة الماجستير، إشراف: جفال نور الدين، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي، تبسة، الجزائر، الموسم الجامعي: 2022 - 2023، ص:154.

⁶ ينظر: هشام عزمي، أسباب الإلحاد في العالم العربي، مقال بمجلة براهين لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقديّة، ع:2، ماي 2014.

انضمت إلى هذه الدعاية ما تلاقيه المرأة من اضطهاد وظلم وقهر في محيطها القريب وخاصة أسرته، كان هذا داعياً قوياً للتمرد على كل شيء بما فيه الدين¹.

لقد ساعدت ظروف العصر الذي نعيشه، والمتمثلة في تطور وسائل التواصل وأدوات الاتصال اللامحدود، على نشر الأفكار وتداولها على أوسع نطاق، وهذا ما أسهم في شيوع فكرة الإلحاد وتحديداً في مواقع التواصل الاجتماعي، نظراً لقربها من متناول أيدي الشباب، وقد استثمر المروجون للإلحاد هذا الإقبال المتزايد على هذه المواقع لبث سمومهم، مما أعطى الإلحاد الإلكتروني بُعداً توسعياً كبيراً². إضافة إلى كثرة المواقع المشبوهة التي يدعمها كبار الملاحدة على الشبكة العنكبوتية، وبمختلف اللغات وبتوظيف لوسائل متعددة، وبأهداف معلنة حيناً، وغير معلنة أحياناً كثيرة، حيث تدعي نصرته المظلومين والدفاع عن الحريات الفردية، وتبث ضمن ذلك ما شاءت من سموم إلهادية، كالاستهزاء بالشرائع والأديان وإصاق كل الشرور بها³ وضمن هذا المعنى يقول هاريس: "كل الأديان وجدت لأجل السيطرة على الناس واستعبادهم"، ولقد انتشرت هذه الأفكار في القنوات الإلهادية التي تجاوز عددها حسب دراسة علمية منشورة سنة 2018 ما يقرب من ألف وأربعمائة وأربعين قناة للإلحاد⁴.

ويُضاف إلى ما سلف، تبعية العرب للغرب، وعالهم على الأمم المتقدمة، في الفكر والعلم والتقنية، وهو ما أصاب شرائح المجتمع العربي بالانهار والإعجاب برونق تلك الحضارة الغربية، وانساق الكثير من الشباب العربي وراء تقليد الغرب في كل شيء، من تلقي النظريات الفلسفية والعلمية المكرّسة للإلحاد، إلى تبني نمط حياة قائم على المتع والملذات والاستمتاع بمباهج الحياة، خصوصاً وأن المغلوب دائماً يقلد الغالب، حسب دراسات علم النفس⁵.

هناك عناصر لا بد منها في التعامل مع الإلحاد، وهي عدم حصره في المجال الديني، فحسب، وإنما هذا المجال هو ما جعل الإلحاد يظهر على مستوى السطح، وإلا فيمكن أن نعتبر عدداً من ممارسي العبادة من الملحدين، بما أن سلوكهم ومعاملاتهم لا تمت للدين بصلة، حيث الفاصل بين القول والعمل كبير جداً، فليس الملحد على الحقيقة مَنْ أنكر بالقول، ولكن الملحد هو مَنْ أنكر بالسلوك، ولم يراع وجود

¹ حول المرأة والإلحاد، يُنظر: سامي عامري، المرأة بين الإسلام والإلحاد والنصرانية، دار رواسخ، الكويت، ط:1، 2022.

² عبد العليم محمود عبد النعيم، التحديات العقدية على شبكات التواصل الاجتماعي وسبل المواجهة، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، سوهاج، مصر، ع: 28، ديسمبر 2022، ص: 118.

³ Sam Harris, The End of Faith, second edition, 2018, trans. Muhammad Sam Al Iraqi, Arabic novels, 5.

<https://www.kutubypdf.com/end-faith-pdf/>

⁴ أحمد عبد الحسين العوايشة، أنس عبد الله الشخانية، المواقع الإلهادية في الشبكة العنكبوتية، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، مجلد: 18، ع: 2، 2018، ص: 332.

⁵ غالب عواجي، المذاهب الفكرية المعاصرة، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، ط:1، 2006، ج:2، ص: 1014.

الله في معاملاته وأخلاقه وعلاقاته مع الناس وسائر الموجودات، وهذا يجعلنا لا ننتقد خطاب الإلحاد فقط، ولكن ننتقد أيضاً إلهاد الخطاب في الردود على الإلحاد، وكيف تحوّل الدين إلى حلبة للصراع والهيمنة والاستعلاء واحتكار الحقائق وزرع الشك، أو توزيع صكوك الغفران بطريقة أو بأخرى وذلك ضمن ما يُعرف بالإسلام السياسي¹.

الفصل الثاني: كيف السبيل إلى علاج ظاهرة الإلحاد؟

بعد الوقوف على أهم عوامل الإلحاد، وانطلاقاً من الوعي بأهمية البحث العلمي في اقتراح الحلول الممكنة لمشكلات سلوكية تتحكم فيها متغيرات كثيرة، نقترح في هذا الفصل بعض المداخل للحد من انتشار ظاهرة الإلحاد في المجتمع الإسلامي عامة، وبين صفوف الشباب المسلم خاصة، سواء في البلاد العربية أو الغربية، لاسيما وأن انتشار الإسلام في كثير من الدول الغربية²، يقابل بمزيد من خطر الإلحاد على المسلمين الجدد في تلك الدول، حيث تبرز العديد من التحديات الجديدة التي تحتاج لحلول من أجل تحقيق أمن روحي وتعايش أفضل مع باقي أتباع الديانات الأخرى في تلك المجتمعات، وهو يلقي بالمسؤولية على الباحثين والعلماء في توضيح حقائق العقيدة بمنهج علمي واضح³، وإسهاماً في علاج ظاهرة الإلحاد سوف نركز على مقترحين؛ الأول تربوي وثقافي يتعلق بتنمية الإنسان، والثاني تواصله له صلة بالحوار مع الملحدين.

المبحث الأول: تنمية الإنسان

إن تحقيق التنمية والازدهار بوصفها جهاداً أكبر، في مجتمعات تعاني من الفقر والمرض والجهل والبطالة والفساد، يعد أكبر أولوية من محاربة الإلحاد والتضييق على الملحدين أو محاسبتهم ومحاكمتهم، فهم ثمرة وضع اجتماعي غير سليم، يُسأل عنه الجميع، ولا عذر لمن لم يهتم بأمر المسلمين. كما أن الخطاب الديني التقليدي ينبغي أن يجدد أدواته ويطور مناهجه وينفتح على العلوم الطبيعية والفيزيائية والعلوم الإنسانية، حتى يكون أكثر قدرة على تقديم إجابات معاصرة وجديدة، لإشكالات

¹ Eickelman, D. F. & Piscatori, J. Muslim Politics, Princeton, Princeton. University Press, 1990, pp. 22-45.

DOI: 10.1515/9780691187785.

² Eidemiller, K.Y. et al, "Islamic diffusion of Nordic countries; Sweden", IOP Conference Series; Earth and Environmental Science, Saint Petersburg, Russian Federation, Vol/ 180, 18 - 19 April 2018, p 1.

³ زياد بن حمد العامر، النوازل العقديّة للمسلمين الجدد، المجلة الدولية للدراسات الإسلامية المتخصصة، رقاد للدراسات والأبحاث، المجلد:1، ع: 2، 2018، ص: 118.

العصر ونوازل الوقت، عوض اجترار تراث السلف، وأخبار القدماء، حيث من الضروري تطوير الخطاب الديني البرهاني اعتماداً على مناهج علمية تؤسس لسلطة الحوار والبحث والنقاش وفق أخلاقيات الاحترام وقبول الاختلاف، دون إساءة للعقائد أو ازدراء للقيم الإنسانية¹.

ويضاف إلى ذلك، إيلاء التربية والتعليم المكانة التي تستحقها، باعتبار العلم سلاح الإنسان وطريق الإيمان، بحيث تصبح العلوم في خدمة اليقين بالله، وليس مجرد بحوث ومعارف ومعلومات تُدرّس وتُنسى، ولا تترك أي أثر في السلوك والوجدان، ويعني ذلك ضرورة تجديد المناهج وتطوير المواد الدراسية، وجعلها أكثر جاذبية، واستحضار الجوانب النفسية والاجتماعية في حياة الطالب، حتى لا يتم تحميله فوق ما يطيق، أو على الأقل فهم ظروفه للحكم على مدى استعدادده للتعلم والإقبال على المعرفة، وجعل العلم مرادفاً للمحبة والرحمة والفضيلة، يتعلق الإنسان بالعلم تعلقاً ينجيه من المهالك ويشعره بمحبة الله لخلقه، وذلك اقتداء بالمنهج القرآني، ومنه قوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}،² والتربية لا تنجح إلا بمشروع مجتمعي متكامل، بحيث تتعاون المؤسسات التربوية والدينية ووسائل الإعلام، من أجل حماية المجتمع عامة، والشباب خاصة، من الانحراف أو الانجراف نحو الأفكار الشاذة والمعتقدات الباطلة³.

وينبغي أيضاً إنشاء مؤسسات علمية رائدة متعددة التخصصات، عابرة للجنسيات والثقافات، تأخذ على عاتقها صناعة النهضة، وتكون على غرار بيت الحكمة، في الترجمة والحوار والتواصل، تتابع كل ما يصدر من مؤلفات حول الدين، ومقالات منشورة في المجلات، وما تبثه وسائط الاتصال من محتوى، من أجل تصفية المجال من الشوائب، وتوضيح الحقائق، واقتراح البدائل، وتقديم الإجابات، ورصد الانشغالات والاهتمامات، وكل ذلك مفيد في توجيه الحياة الفكرية والعلمية وجهة النهضة والبناء، وتجاوز إكراهات "تحقيق نهضة عربية جديدة وفق منطق العصر وأسئلته وحاجاته مع الشروط الكونية الجديدة للعوالم وتحدياتها الحتمية الناشئة"⁴.

وأخيراً، وهو ما ينبغي البدء به، من الضروري إيلاء الأسرة العناية الفائقة، لأنها نواة المجتمع، والعمل على غرس الفضائل والقيم، وحب الخير والكرم وغير ذلك من قيم المواطنة وتعزيز الشعور بالهوية

¹ يُنظر: الإلحاد المعاصر؛ سماته وأثاره وأسباب علاجه، سوزان بنت رفيق بن إبراهيم، مرجع سابق.

² سورة غافر: 64.

³ يُنظر: مخاطر الإلحاد وسبل المواجهة، إعداد: الإدارة المركزية بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، إشراف وتقديم: مختار جمعة، منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط:1، 2020.

⁴ سريست محمد صالح ني، النهضة العربية ووعي المفارقة، مجلة آداب المستنصرية، المجلد: 47، ع: 101، 2023، ص: 234.

الدينية والوطنية¹، وبناء إنسان محب للخير وللفضيلة، فالإلحاد ثمرة جحود وجفاء وخواء. ولا بديل عن تعبئة الدولة والمؤسسات من أجل الحفاظ على تماسك الأسر والعائلات بإحياء العلاقات الإنسانية على أسس التواصل والاطمئنان والأمان، مع الارتباط بالواقع والعالم، وبناء مفهوم المراقبة الذاتية الذي يربي الإنسان على رقابة الله في جميع أعماله وأحواله كأنه يراه، حتى ينشأ الأبناء والشباب في جو الحنان والعطف ويكون لديهم الإشباع النفسي والمعرفي الذي يؤهلهم لمواجهة الحياة وتياراتها المختلفة وخاصة الغزو الفكري الذي يهدد العقيدة²، وتكون أعمالهم في قمة الإحسان والإتقان والبذل والعطاء والتعاون، في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية³ وأيضاً الروحية كما قال تعالى: {الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ، وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِ} ⁴.

المبحث الثاني: دعوة الملحدين

يذكر الباحث المغربي البشير عصام المراكشي⁵، المختص في ظواهر العلمانية والإلحاد ثلاثة تنبيهات قبل الخوض في دعوة أو مناقشة الملحدين، وهي:

الأول: أن القراءة في هذا الموضوع ينبغي أن تكون على قدر الحاجة، وأن من لم يُبتل بمقارعة الإلحاد فليس له أن يكثر النظر في شبهات القوم والرد عليها، بل تكفيه المعرفة الفطرية، وأصول الاستدلال العقلي على وجود الله، الموجودة في كتب العقيدة.

الثاني: أنه لا بد من التمكن والاعتدال في مجال العلوم الشرعية عموماً، وفي العقيدة خصوصاً لمن يخوض هذا المجال. وما أكثر من أقبل على مناقشة الملاحدة بزاد قليل من العلم، فوقع في مزالق عقدية خطيرة، وهو يحسب أنه يحسن صنعا! كما أن مناقشة الملاحدة لا بد أن تتطرق إلى مناقشة الشبهات اللادينية؛ ولا سبيل إلى كشف هذه الشبهات إلا من طريق العلم الشرعي.

الثالث: لا بد من الاعتصام بالله وصدق الملجأ إليه، وعدم الاعتداد بالعقل ولا التعويل على قدرته في التعامل مع الشبهات دون عون من القدير سبحانه. وما أكثر المنتكسين الذين سقطوا في مستنقع الحيرة

¹ فاطمة زهراء جامع، أساليب التربية الأسرية الحديثة وتنمية قيم المواطنة، مجلة المعيار، المجلد: 27، ع: 4، 2023، ص: 1123.

² عرسان عبد اللطيف المشاقي، الأسرة والأمن الفكري، مجلة الأمن والحياة، ع: 390، أكتوبر 2014، ص: 29.

³ وهيبه صابجي، دور الأسرة في تعزيز قيم المواطنة داخل المجتمع، مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع، المجلد: 6، ع: 2، 2022، ص: 220.

⁴ سورة الشعراء: 218-219.

⁵ البشير عصام، العلمنة من الداخل: رصد تسرب التأصيلات العلمانية إلى فكر التيارات الإسلامية المعاصرة، منشورات مركز تفكير للبحوث والدراسات، ط: 1، 2015.

أو الإلحاد الصريح، بسبب كثرة اعتدادهم بعقولهم، وخوضهم في محاربتها، دون اعتماد على البارئ سبحانه¹.

ولابد من الانتباه إلى أن الإلحاد درجات وأصناف، بعضها قد يبدو خفياً لا يُرى، أو ربما يلتبس بالإيمان، مثل الإلحاد الروحاني الذي يمثل تياراً فكرياً انتشر في العصر الحديث بشكل تطبيقي، حيث يبدأ بالممارسات وينتهي بالفلسفة، وهو حالة فكرية يدخل فيها الإنسان عندما يدرك أن حقيقة الحياة يكتنفها غيبٌ يتجاوز ما يراه ويعايشه من الماديات، ويظن أن الطريق لمعرفة هذا الغيب بل ومعايشته هو الدخول في تجارب باطنية شخصية. وينتهي الأمر بمن يجرفهم هذا التيار من المسلمين إلى خلل كبير في مصادر المعرفة؛ فتصبح المعرفة الباطنية هي مصدر العلم اليقيني لديهم، ومن هنا يقعون في إنكار الغيب الحق الذي دلت عليه النصوص الشريفة، فيحرفونه أو يأولونه أو يردونه كلياً، فيؤمنون بقوة غيبية مطلقة أزلية، لكنها ليست "الله" كما عرفنا بنفسه وأسمائه وصفاته وعرفنا به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم. ويعتقدون أنه من هذه القوة أو الروح تنبثق كائنات أو قوى روحانية، نورانية وظلامية، ولكنها ليست الملائكة ولا الشياطين التي أخبرت عنها الرسل، وجاء ذكرها في الكتب السماوية، ويثبتون الجزاء في عالم آخر، ولا يتلقون خبره من علام الغيوب؛ فلا يؤمن الروحانيون بعذاب القبر ونعيمه والجنة والنار والدار الآخرة كما بيّنتها نصوص الوحي الصحيح، وإن استخدموا ألفاظ: الجنة، والنار، والآخرة، فعلى معاني باطنية يريدونها².

إنَّ الغاية من حوار الملحد، ليست هي إفحام الخصوم وإثبات كفاءة الذات في الردّ على الضالين والمنحرفين، فذلك انتصار للنفس، وباب للغرور ودخول العجب والرياء والسمعة والإحساس بالتفوق، في حين أن الغاية هي هداية الملحد، ومساعدته على تجاوز محنة الإيمان، بالدعاء له وبالصبر عليه وبالإحسان إليه، مصداقاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ"³. وينتج عن تصحيح النية، وتسديد الغاية، التماس أدب الحوار وحسن الجوار وجمال الأداء في عرض الأفكار، مما يكون له أبلغ الأثر في التأثير على النفوس، وهو منهج الأنبياء في الحوار مع الطغاة والجبابرة، وقد أمر الله موسى عليه السلام بنهج هذا الأسلوب مع أقوى الطغاة في تاريخ البشرية، فقال تعالى: {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ لَنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}⁴، وإذا كان هذا التعامل مع الطغاة،

¹ البشير عصام، منهج الرد على الإلحاد، مركز يقين، بتاريخ: 2018-11-1، <https://2u.pw/ol0V4>.

² فوز بنت عبداللطيف كردي، الإلحاد الروحاني المعاصر، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ، مصر، المجلد:4،

ع:1، ديسمبر 2020، ص: 173. FICA.2020.211210Doi: /10.21608

³ صحيح البخاري، باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رضي، ج:5، ص: 134، حديث: 3519. وصحيح مسلم، ج:4،

ص:1872، حديث: 2406.

⁴ سورة طه: 44.

فكيف إذا تعلّق الأمر بالتعامل مع المقربين، وهذا يعني أن علاج الظواهر الإنسانية ينبغي أن يتم عبر مداخل إنسانية تركز على إصلاح العلاقات وإصلاح ذات البين، ثم إن الله خالق الإنسان يتولى توجيه عباده، فهو أعلم بالمهتدين.

ومما يؤكد ضرورة التعامل مع الملحدّين باللين والإحسان، هو أن كثيراً من المسلمين الجدد في الدول الغربية، يعانون من ضغوطات كثيرة ومعضلات كبيرة، وعلى رأسها العنصرية والاضطهاد والتضييق عليهم في العمل والأماكن العامة، وهذا مما قد يدفع بعضهم للتظاهر بالإلحاد اتقاء شر مجتمع الآخر المختلف، فتنشأ بذلك ظاهرة إخفاء الإسلام، وهو ما ينبغي أخذه بعين الاعتبار، حتى لا نسيء فهم الإلحاد وغيره من مظاهر الخروج عن الدين، فعلى سبيل المثال، أكدت إحدى الدراسات التي تم إجراؤها على بولندا أن حديثي العهد بالإسلام في بولندا يتعرضون للعنصرية، وأن هذا التمييز العنصري الذي يحدث مع حديثي العهد بالإسلام، لم يحدث بنفس الطريقة مع المسلمين المولودين في بولندا على الإسلام، ولكن العنصرية مرتبطة بالوافدين الجدد للإسلام، وهو ما يعني أن هذا التمييز العنصري، يمثل استراتيجية تهدف إلى الحفاظ على شكل المجتمع البولندي وبنيتها، وتؤكد هذه الدراسة وجود التمييز العنصري¹. وبذلك يبقى حسن الظن بالآخرين أمراً لا بد منه، في كل تعامل مع قضية عقدية أو سلوكية كالإلحاد، مصداقاً لقوله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ، فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ، فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}².

خاتمة

في سياق تأكيد الإيمان بالله، يقول هنري برجسون: "نجد في الماضي، وحتى اليوم أيضاً، مجتمعات إنسانية ليس لها علوم، ولا فن، ولا فلسفة. ولكن لم يوجد قط مجتمع دون دين"³، وهذا يعني أن الأصل هو الدين، ولا خلاف أن الإيمان بالله يمثل أول خطوة في التدين، لأنه صوت الفطرة، وثمرة الاستدلال

¹Katarzyna Górak-Sosnowska, Michałyszczarz, and Beata Abdallah-Krzepkowska, "When whiteness is not an asset. Racialisation strategies towards Polish converts to Islam", Journal of Ethnic and Migration Studies, Published: 16 Jan 2023, P2. At: <https://doi.org/10.1080/1369183X.2023.2166909>.

² سورة آل عمران: 159.

³ Henri Bergson, Les deux sources de la morale et de la religion, Quadrige – P.U.F, 1990, p. 105

العقلي السليم أيضاً، ولهذا فالإلحاد عرض طارئ على البشرية، مثل مرض عابر أو علة تقيّد طاقة الإنسان وتحدّ من إمكاناته، ويقتضي الأمر علاجه قبل أن يستشري في الجسد كله.

ولعل التطور العلمي المذهل الذي عرفه الإنسان في العصر الحالي، كان أحد أسباب الإلحاد الجديد، في توهم القدرة على حل كل المعضلات، إلى درجة إطلاق صفات إنسانية على بعض الآلات، و"خلع صفة العقل على" الذكاء الاصطناعي" ليوهم المشاهد أن الإنسان له القدرة على الخلق مثله مثل الإله تماماً بتمام¹. وهو ما جعل ظاهرة الإلحاد أكثر تعقيداً، وإن التباسها بظواهر أخرى ترتبط بأنماط التفكير والرؤية والسلوك، يقتضي من الباحثين مقارنة شمولية ودراسات ميدانية عابرة للتخصصات.

ويمكن إيجاز الخلاصات العامة التي توصلنا إليها في هذه الدراسة، في ثلاث نقاط أساسية، نجملها من خلال الآتي:

أولاً: تعقد ظاهرة الإلحاد، حيث تقف وراءها عدة أسباب، منها ما هو خارجي مرتبط بتبعية المجتمعات الإسلامية للغرب وتقليد الشباب العربي لكل ما هو غربي، يتجاوز أنماط العيش إلى طرق التفكير والاعتقاد والتدبير، وأيضاً هناك عوامل داخلية مرتبطة بضعف البنيات العقلية والإيمانية في المجتمعات الإسلامية، وذلك ما جعلها تتأثر بالثقافة الجديدة، خاصة مع هيمنة التواصل الرقمي والانفتاح على الثقافات العالمية، وهو ما خلق بيئة مناسبة لنمو الإلحاد وتغلغله بين صفوف الشباب.

ثانياً: تتأسس المقاربة العلاجية لظاهرة الإلحاد على جملة من المداخل؛ تبدأ بتنمية الإنسان عبر إيلاء التثقيف والتعليم أهمية كبرى، ثم تأهيل الأسرة لتكون داعمة للمشروع الاجتماعي، وإنشاء مؤسسات علمية رائدة تنكب على دراسة المعضلات الجديدة، واقتراح حلول ناجعة، ثم أخيراً، لا بد من رؤية استشرافية بعيدة المدى لتحصين الشباب ضد كل الانحرافات العقدية والسلوكية، وخاصة مع تطور وسائل التواصل والإعلام وتزايد التداخل بين الثقافات، حيث لا يمكن العيش بعيداً عن الاندماج، ولكن لزم التحلي بقدر كبير من الوعي والمسؤولية، دون أي تبعية أو تقليد، وهذا يعني ضرورة ترسيخ مزيد من التسامح والتواصل، وفسح المجال لمناقشة كل القضايا، لأن الإيمان ينبغي أن يكون على بيّنة وبرهان، وعن اقتناع واختيار، مصداقاً لقوله تعالى: {من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر}².

ثالثاً: ينبغي التعامل مع الملحدّين بالحوار والتواصل، لأن عوامل الإلحاد كثيرة ومتشعبة، وكما بيّن هذا البحث، فإن الإنصات للملحد قد يشعره بالأمان، وتفهمّ دوافعه قد يجعله قادراً على إعادة التفكير في مسلماته والعمل من أجل تعديل اختياراته، غير أن هذا التواصل ينبغي أن يتم بشكل سليم؛ دون أي

¹ أحمد حسن، الميديا والإلحاد، مركز دلائل، الرياض، السعودية، ط: 2، 1437هـ، ص: 43.

² سورة الكهف: 29.

ادعاء بامتلاك الحقيقة أو احتكارها، ودون أي إساءة أو تقليل من قيمة الآخر، لأن الشأن الروحي لا أحد يملك سلطة التأثير فيه، لأنه متعلق بصلة العبد برّبّه، سواء اعترف أو أنكر، لا حق لنا في محاسبة أحد بسبب عقيدته وإيمانه، وإنما الغاية هي البيان والتبيين، والفهم والإفهام، دون أي إلزام أو إكراه.

لائحة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أحمد هاشم عبد، الإلحاد المعاصر وانتشاره في المجتمع الإسلامي، مجلة التطوير العلمي للدراسات والبحوث، المجلد: 3، ع: 10، 2022.
- أحمد الجهيني، محمد مصطفى، الإسلام والآخر، مكتبة الأسرة، مصر، ط: 1، 2007.
- أحمد عبد الحسين العوايشة، أنس عبد الله الشخانة، المواقع الإلحادية في الشبكة العنكبوتية، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، مجلد: 18، ع: 2، 2018.
- أحمد حسن، الميديا والإلحاد، مركز دلائل، الرياض، السعودية، ط: 2، 1437هـ.
- أزهار بنت أنس سلامة، التفسير النفسي للإلحاد المعاصر: دراسة موضوعية عقيدية، مركز الأدب العربي للنشر والتوزيع، السعودية، ط: 1، 2022.
- أفنان عبد الله قطب، دوافع استخدام الأسماء المستعارة لدى مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي: دراسة مسحية على عينة من الشباب السعودي، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، ع: 71، DOI: 10.21608/ejsc.2020.126743.2020
- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، 2017.
- بهاء الدين عربي محمد عمار، المضامين التربوية المستنبطة من تعامل الإسلام مع حديث العهد بالإسلام، المجلة العلمية، كلية التربية، جامعة أسيوط، مصر، المجلد: 39، ع: 4، ج: 2، أبريل 2023.
- البشير عصام، العلمنة من الداخل: رصد تسرب التأصيلات العلمانية إلى فكر التيارات الإسلامية المعاصرة، منشورات مركز تفكير للبحوث والدراسات، ط: 1، 2015.
- البشير عصام، منهج الرد على الإلحاد، مركز يقين، بتاريخ: 1-11-2018م. <https://2u.pw/ol0V4>
- جميل أبو العباس زكير، المتطرفون: التطرف الفكري؛ نشأته وأسبابه وطرق علاجه، منشورات المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية، برلين، ألمانيا، ط: 1، 2020.

- خليل رجب حمدان الكبيسي، السلام الدولي في الإسلام: دراسة تأصيلية مقارنة، دار أمجد للنشر والتوزيع، الأردن، ط:1، 2018.
- زياد بن حمد العامر، النوازل العقدية للمسلمين الجدد، المجلة الدولية للدراسات الإسلامية المتخصصة، رفاد للدراسات والأبحاث، المجلد:1، ع:2، 2018.
- سريست محمد صالح نبي، النهضة العربية ووعي المفارقة، مجلة آداب المستنصرية، المجلد:47، ع:101، 2023.
- سامي عامري، المرأة بين الإسلام والإلحاد والنصرانية، دار رواسخ، الكويت، ط:1، 2022.
- سوزان بنت رفيق بن إبراهيم، الإلحاد المعاصر؛ سماته وأثاره وأسباب علاجه، رسالة دكتوراه، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، السعودية، 1440هـ.
- محمد بن جرير بن يزيد الطبري، جامع البيان، دار الرسالة، لبنان، 1994.
- عبد الكريم بكار، فصول في التفكير الموضوعي، دار القلم، دمشق، ط:1، 2008.
- علي بن نايف، موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، قسم العقيدة، الموسوعة الشاملة.
- عصام المراكشي، العلمنة من الداخل: رصد تسرب التأصيلات العلمانية إلى فكر التيارات الإسلامية المعاصرة، منشورات مركز تفكير للبحوث والدراسات، ط:1، 2015.
- عمرو شريف، وهم الإلحاد، تقديم: محمد عمارة، منشورات مجلة الأزهر، مصر، ط:1، 1435هـ.
- عبد العليم محمود عبد النعيم، التحديات العقدية على شبكات التواصل الاجتماعي وسبل المواجهة، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، سوهاج، مصر، ع:28، ديسمبر 2022.
- عرسان عبد اللطيف المشاقي، الأسرة والأمن الفكري، مجلة الأمن والحياة، ع:390، أكتوبر 2014.
- عبد الله الغدامي: التزمت أشد خطراً على الدين من الإلحاد، بتاريخ الجمعة 4 ديسمبر 2020، عبر الرابط: <https://www.okaz.com.sa/culture/culture/2050427>
- غالب عواجي، المذاهب الفكرية المعاصرة، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، ط:1، 2006.
- فاطمة زهراء جامع، أساليب التربية الأسرية الحديثة وتنمية قيم المواطنة، مجلة المعيار، المجلد:27، ع:4، 2023.
- فهد بن سالم باهمام، دليل المسلم الجديد، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، السعودية، ط:1، 2017.

- فوز بنت عبداللطيف كردي، الإلحاد الروحاني المعاصر، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ، مصر، المجلد:4، ع:1، ديسمبر 2020.
- فاطمة السالم، مواقع التواصل الاجتماعي والتطرف الفكري: دراسة على عينة من طلبة جامعة الكويت، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، ع: 79، أبريل 2022.
- DOI: 10.21608/ejsc.2022.253939
- قحايرية شوكمال، عبد الكريم محمد، سوء استغلال مواقع التواصل الاجتماعي وانحراف المراهقين، رسالة لنيل شهادة الماجستير، إشراف: جفال نور الدين، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي، تبسة، الجزائر، الموسم الجامعي: 2022-2023.
- محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الموسوعة الكبرى لأطراف الحديث النبوي الشريف، دار الكتب العلمية بيروت، 2021.
- منصة محمد السادس للحديث النبوي الشريف:
<https://hadithm6.com/hadith/165890.html>
- محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، صحيح البخاري، خرّج أحاديثه وعلّق عليه: محمود محمد حسن نصار، دار الكتب العلمية، بيروت، 2019.
- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان أن الإسلام بدأ غربا وسيعود غربا وأنه يأرز بين المسجدين، رقم الحديث: 147، ج: 1.
- محمد عبد الله عيسى، التحديات العقدية المعاصرة، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، المجلد: 43، ع: 2، يناير 2021.
- معن خليل عمر، علم اجتماع الانحراف، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، ط: 1، 2008.
- محمد أركون، الفكر الإسلامي: قراءة علمية، ترجمة: هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط: 1، 1996.
- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، دار ابن كثير، دمشق، ط 1، 1423هـ/2002م.
- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، الرياض، ط 1، 1427هـ/2006م.

-
- مختار جمعة، مخاطر الإلحاد وسبل المواجهة، منشورات الإدارة المركزية بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وإصدارات الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط:1، 2020.
- وهيبة صابحي، دور الأسرة في تعزيز قيم المواطنة داخل المجتمع، مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع، المجلد:6، ع:2، 2022. FICA.2020.211210Doi:/10.21608
- هشام عزمي، أسباب الإلحاد في العالم العربي، مقال بمجلة براهين لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقديّة، العدد الثاني بتاريخ / مايو 2014م – رجب 1435 هـ
- Majdoleen NAWASRAH. Gençlik ve İnanç Eğilimleri Özel Sayısı. Vol. 9. Issue: 3. Year 2022. <https://doi.org/10.17859/pauifd.1187209>
- David F. Bradley, Julie J. Exline, Alex Uzdavines, and Nick Stauner, The Reasons of Atheists and Agnostics for Nonbelief in God's Existence Scale. *Psychology of Religion and Spirituality*. August 2018. DOI: 10.1037/rel0000199.
- Sam Harris, *The End of Faith*, second edition, 2018, trans. Muhammad Sam Al Iraqi, *Arabic Novels*, 5, <https://www.kutubypdf.com/end-faith-pdf/>
- Eickelman D. F., Piscatori, J. *Muslim Politics*, Princeton, Princeton. University Press, 1990, pp. 22-45. DOI : 10.1515/9780691187785
- Eidemiller, K.Y. et. al, "Islamic diffusion of Nordic countries; Sweden", IOP Conference Series, Earth and Environmental Science, Saint Petersburg, Russian Federation, Vol. 180, 18 -19 April 2018.
- Katarzyna Górak-Sosnowska, Michał Łyszczarzb, Beata Abdallah-Krzepkowska. "When Whiteness is not an Asset. Racialisation Strategies towards Polish Converts to Islam", *Journal of Ethnic and Migration Studies*, 16 Jan 2023. <https://doi.org/10.1080/1369183X.2023.2166909>.
- Henri Bergson, *Les deux sources de la morale et de la religion*, Quadrige, P.U.F, 1990.
-